

فلفل و عناصر القصة

الدكتور حسين ابويساني^١

الملخص

إن للقصة القصيرة مكانة ممتازة في الأدب العربي الحديث يختص بها حيز كبير بين أنواع الأدب المختلفة. أقبل عليها كبار العرب و أصبحت من أحب الأنواع الأدبية إلى القراء. من المعاصرين فقد اشتهر فيها من الكتاب نجيب محفوظ و كتب عدداً كبيراً من القصص القصيرة لم ينشر إلا بعضها منها: المجموعة المسماة بـ «همس الجنون». مما تشتمل عليه هذه المجموعة، أقصوصة «فلفل» و هي حكاية غلام يشتغل في القهوة مبلغ متواضع جداً، ينتمي إلى أسرة فقيرة تحترف سرقة أشياء متواضعة تؤدي إلى القبض على أبيه و سوقه نحو السجن مع أن الآخرين من أصحاب المناصب يغترفونها و هم في أمان من القبض عليهم و السوق نحو السجن. قد اهتم كاتب المقالة بدراسة الأقصوصة شكلاً و مضموناً فحدد عناصرها موضحاً الواحد تلو الآخر، ثم تطرق إلى مضمون الأقصوصة بما تشمله هذه العناصر و أخيراً قد استنتج مستعيناً بما يضمه القالب و المحتوى.

الكلمات الدلالية: النثر العربي، نجيب محفوظ، الأقصوصة، همس الجنون، فلفل.

المقدمة

لاريب في أن القصة في مقدمة الفنون البيانية، بما نعالج المشكلات الإنسانية في وحي من عقليتنا

وبصيرتنا و استجابتنا للحياة و المجتمع حتى يتبين العالم المتحضر في أدبنا خلقاً جديداً، بذلك يطمئن الأدب العربي إلى أنه يشارك ركب الحضارة في كشفه عن خصائص الإنسانية الخالدة في إطار من القصص الفني الرفيع (تيمور، ص ٧٤).

قد شاعت كتابة القصة القصيرة في هذا العصر شيوعاً واسعاً حتى أصبحت من أهم أبواب الأدب و من يتابع تدرجها من طور الوضع التقليدي إلى الوضع الحر الذي يحاوله العصريون بين مبدع و غير مبدع، يلمح فيها اليوم ميلاً يكاد يكون عاماً إلى تصوير البنية الإقليمية و درس الحياة الشعبية مصطبغاً بصبغة إنسانية و إصلاحية (المقدس، ص ٤٥٥).

منذ مئة و خمسين سنة أعلنت القصة القصيرة وجودها في الآداب العالمية (يان ريد، ص ٣) وأصبحت أحب الأنواع الأدبية إلى القراء في عصرنا الحاضر لأنها تلائمهم من حيث سرعة قراءتها في الحيز الصغير الذي تشغله في الصحيفة أو المجلة أو الزمن المحدود الذي تستغرقه في الإذاعة (البلاغة و النقد، ص ٩٩). أول ما يميّز الأُقصوصة عن الرواية و القصة صغر حجمها و قد حاول الباحثون أن يحددوا هذا الحجم بعدد الكلمات ولكن هذا التحديد العددي ليس مقياساً صحيحاً للحكم على الحكاية بأنها رواية أو قصة أو أُقصوصة (هدارة، ص ١٤٩). أما لفظة القصة فقد تطلق بشكل عام على أنواع هذا النوع الأدبي.

هناك من يميّزون القصة القصيرة عن الأُقصوصة «فإذا كان عدد صفحات [القصة] يتراوح ما بين (١٠-٣٠) صفحة فهي قصة قصيرة و إن كانت ما بين (٤-٧) فهي أُقصوصة و حددوا كذلك عدد كلمات كلّ قسم من هذه الأقسام. و قد عارض بعضهم هذا التقسيم و من اولئك إدجار ألان بو الذي اعتمد على الوقت الذي تقرأ فيه القصة، فالقصة القصيرة- في منظاره- هي ما تقرأ في مدة تتراوح ما بين نصف ساعة إلى ساعة أما الأُقصوصة فهي ما تقرأ بزمن يقل عن نصف ساعة» (الساعدي، ص ٤٠). وفقاً لهذه المعايير و بما أن هذه القصة لا تشمل على أكثر من ثلاث صفحات فعلياً أن نحكم على أنها أُقصوصة و ليست قصة قصيرة. أما استعمال لفظة القصة القصيرة للأُقصوصة فلنقرب كلّ منهما من الآخر.

من المعاصرين قد اشتهر في [القصة] من الكتاب نجيب محفوظ، إضافة إلى شهرته في الرواية التي عدّ أبرز من كتبوا فيها في العالم العربي. كتب نجيب عدداً كبيراً من القصص القصيرة و لم ينشر إلا بعضها، منها ما منع لأسباب أخلاقية و منها ما منع لأسباب فنية فهو الذي كتب بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٩ عدداً من القصص القصيرة و نشرها في مجلة «الرواية» ثم ضمّتها مجموعة «همس الجنون» (الساعدي، ص ٤٣). عالج روايات هذا القاص العالمي و قصصه كثيرون معالجة نقدية لكننا قلّما نعر على من يهتمون

بدراسة قصص نجيب القصيرة و أقاصيصه ضمن كتب أو مقالات و لو عثرنا على هؤلاء المهتمين فإنهم لم يبادروا بتحديد العناصر القصصية و تبينها واحداً تلو آخر بل ركزوا مساعيهم على نقد المضامين و ما تحتوي هذه الآثار على المفاهيم و الأفكار.

أقصوصة فلفل التي نتابعها في الصفحات التالية مما تحتويه مجموعة همس الجنون التي تدور حكاياتها على تصوير الأحداث الاجتماعية و الحالات أو العواطف التي تنتاب الناس في تصرفاتها اليومية. بما أن هذه المجموعة القصصية هي أول كتاب ألفه نجيب محفوظ في القصة (١٩٣٨م) و لم تحكه التجارب و ربما لم تتوافر عنده الأسباب الفنية، فإن الذي دفع الكاتب إلى كتابة هذه الصفحات هو الإجابة عن هذا السؤال: هل تشتمل قصص نجيب القصيرة و أقاصيصه على عناصر القصة و هل هي تستحق الدراسة؟

خلاصة القصة

إن أقصوصة فلفل حكاية غلام في الثانية عشرة من عمره، اسمه الحقيقي طه سنقر قد اشتهر بفلفل و اشتغل في «قهوة السعادة»، ينتمي إلى أسرة فقيرة من طبقة المجتمع الدنيا و قد تحترف السرقة. كأن فلفلأ هذا نحلة ينشط من الصباح الباكر إلى منتصف الليل و هو خفيف الحركة لا يقدره قرار و لا يسكت له صوت. يدفع إليه صاحب القهوة مبلغاً متواضعاً جداً، مضافاً إلى جوزة و فنجان شاي يتناولهما يومياً. مع هذا يفتخر طه على نفسه و يأمل له مستقبلاً باهراً يحصل فيه على درجة أفضل مما فيه.

مما يعجب فلفلأ جماعة من الطلاب الجامعيين يجتمعون في أماسي العطل و يأوون إلى زاوية من القهوة يحتسون الشاي و الزنجبيل و يلعبون النرد فيقرأ واحداهم جريدة ثم يندفعون إلى المناقشة والتعليق. ذات مساء قرأ قارئهم- فيما يقرأ- خبر ارتشاء موظف كبير، ثم أخذ الصحاب كعادتهم في التعليق و النقاش فقال أحدهم: «هذا واحد أمكن يد العدالة أن تصل إليه مصادفة» (مخفوظ، ص٣٠٣). و قال آخر: «ليس الداء قاصراً على الموظفين فغيرهم- و أنتم تعلمون من أعني- أفضع و أضل سبيلاً» (المصدر السابق). ثم صاح أحدهم غاضباً: «هذا بلد، السرقة فيه حلال (نفس المصدر، ص٣٠٤). لقد سر فلفل باستماع هذه العبارات سروراً لامزيد عليه و فرح أيما فرح، إذ هو قد ولد في أسرة تحترف السرقة و تربي في أحضانها.

بعد انتهاء تلك الليلة عندما عاد الغلام إلى بيته أو إلى حجرة متواضعة يعيش فيها أبواه عيشة زهد و تقشف، وجد أمه مستيقظة يعلوها الوجوم و الانكسار و أخواته حولها باكيات، سألها عن السبب و أخبرته الأم أن الشرطي قد قبض على أبيه لجرمة السرقة فداخله الحزن و التجأ إلى البكاء. لقد تذكر طه

ما كان قد سمعه في المساء و قال لأمه: «إن البلد كله لصوص و إن السرقة فيه حلال» (نفس المصدر). ثم قص عليها مما سمع مسمعاها لكن الأم غضبت عليه و أعرضت عنه لاطمة على وجهه. في صباح اليوم التالي استيقظ فلفل من نومه و نسي البارحة و ما فيها من الأحداث فتحرك نحو القهوة لايزعجه همّ و لاينتابه غمّ لأنها لم تكن أول مرة يقبض على أبيه و يساق إلى السجن. إن الصفحات التالية تكشف عن عناصر القصة و هي تندرج في الحبكة و الشخصيات و أسلوب العرض فالبيئة ثم المضمون. لقد ركّز كاتب المقالة اهتمامه في معالجة الأفضوية في الشكل و المضمون مستعينا بهذه العناصر و أخيراً جاء بما حصل عليه من النتائج.

عناصر فلفل

١- الحبكة (Plot)

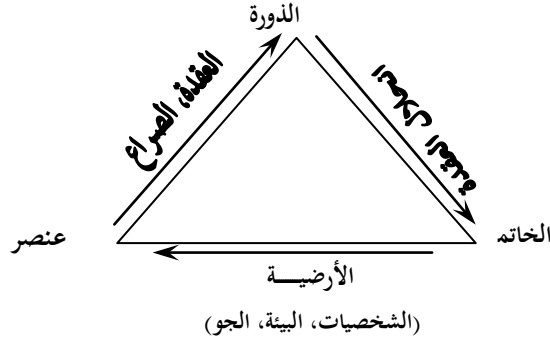
إن الحبكة هي النموذج لأحداث القصة و المخطط لها، فإنها بمعنى الجسد و الهيكل العظمي لحوادث القصة (عناصر داستان، صص ٤ و ١٥٢). هي المجرى الذي تندفع فيه الشخصيات و الحوادث حتى تبلغ القصة نهايتها في تسلسل طبيعي منطقي لانحس فيه افتعاليّاً أو اقحاماً لشخصية (البلاغة و النقد، ص ٩٦) فتقوم على حسن انتخاب الأحداث و براعة ترابطها و سوقها من البداية إلى العقدة فالحلّ (الهاشم، ص ٢٨٨).

حبكة القصة هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية و هي لاتفصل عن الشخصيات، فالقاص يعرض علينا شخصياته دائماً و هي متفاعلة مع الحوادث متأثرة بها و لايفصلها عنها بوجه من الوجوه (نجم، ص ٦٣). هكذا الحبكة هي منسقة الحوادث برابط العلة و المعلول فعندما نقول: مات الأمير و ماتت الأميرة، فهذه قصة أما قولنا: مات الأمير و ماتت الأميرة حزناً له، فهي حبكة (عناصر داستان، ص ١٥٤ و ١٥٠). و أخيراً الفرق بين القصة و الحبكة ينشأ عن التحشية والتذييل و عن الملاحظات و المشاهدات التي يضمّنها الكاتب في طيّات القصة (مكاريك، ص ١١٦).

تنقسم القصة من حيث تركيب الحبكة إلى، ذات الحبكة المفككة (loose) و هي ما لاتعتمد فيها وحدة العمل القصصي على تسلسل الحوادث، و ذات الحبكة العضوية المتماسكة (organic)، فإنها تقوم على حوادث مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض و تسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها. لكن الحبكة من حيث موضوعها؛ إما بسيطة و هي مبنية على حكاية واحدة و إما مركبة فتتشكل من حكايتين أو أكثر (نجم، صص ٧٦-٧٣). أفضوية فلفل من حيث التركيب ذات الحبكة العضوية المتماسكة و من حيث الموضوع ذات الحبكة البسيطة.

بما أن الحبكة تنسّق الصلات الموجودة بين حوادث القصة عقلياً و ترتبط القصة في الشكل و

المضمون ارتباطاً عميقاً، فيلزمنا أن نرسم هرمًا يبين مجرى الأحداث من بداية القصة إلى نهايتها:



بناءً على هذا الهرم ندرس الحكمة التي تنطوي عليها أقصوصة فلفل.

«في قهوة السعادة أشياء كثيرة تستثير الاهتمام» (محموظ، ص ٣٠٢)، هذه هي الجملة الأولى للأقصوصة، يظهر فيها عدد من عناصر القصة؛ أولاً، البيئة المكانية (place) وهي قهوة السعادة. إنَّ للأسماء دوراً هاماً في القصة فعلى هذا كلمة السعادة تدلُّ على أن الغلام وجد في القهوة هوايته المفضلة و سعادة في الحياة، هذا و نحن نعلم أن القهوة من الممكنة غير المرغوبة فيها. ثانياً، جو القصة (Atmosphere) إذ باستماع لفظة القهوة يتبادر إلينا أنها مكان مليءٌ بالدخان و الضوضاء و التقاليد القديمة و هو متلوث في الظاهر و الباطن لوجود الأدخنة فيه و لأناس غير المرغوبين فيهم. ثالثاً، عنصر التشويق (Suspense) و هو الأمر الملتبس في القصة يشوق القارئ ليستمر القراءة إلى النهاية حتى يتبين له الأمر. و الالتباس هنا ينشأ عن هذا السؤال: ما هي قهوة السعادة و ما هي الأشياء التي تستثير الاهتمام فيها؟ السؤال هذا و ما يشبهه، يجرُّ القارئ وراءه ليتابع القصة و يحصل على جواب يقنعه.

في الجملتين الثانية و الثالثة نتعرف على شخصية القصة الأصلية و على البيئة الزمانية (Time) أيضاً: «منها فلفل و هو غلام في الثانية عشرة أو جاوزها بقليل اسمه الحقيقي طه سنقر ولكنه اشتهر بفلفل و هو يسعى بجمرات النار إلى مدختي النارجيلية و الجوزة من طلوع الصباح حتى انتصاف الليل» (المصدر السابق). كذلك يتعمق عنصر التشويق في هذه العبارات بالأسئلة الجديدة منها: لم يسمي هذا الطفل فلفل؟ و لم تطول مدة عمله في القهوة إلى ما لا يطاق؟ أما قبل أن تنتهي الفقرة الأولى يتعرف القارئ على أرضية الهرم بكاملها و هكذا على عنصر التشويق و ليس يدل هذا إلا على براعة القاص في كتابة القصة.

مما يوسِّع الحكمة هو الصراع (Conflict) و معناه «في الآداب، مواجهه الشخصيات أو القوى

بعضهم مع بعض و في القصة، أن تصطدم الشخصية الأصلية، قوى يخاصموها» (واژه‌نامه، ص ٢٢١). يظهر الصراع في اشكاله المختلفة منها: البدني (Physical) و هو مواجهة الشخصيتين الجسدية، والذهني (Mental) يعني الصراع بين فكرين مختلفين، ثم العاطفي (Emotional) و هو مواجهة عواطف الشخصية المختلفة (داد، صص ٦ و ٣٨٥).

عند متابعة هذه الأقصوصة نجد أن فلفلاً يظنّ أنّ السرقة يحترفها أبواه فحسب، إلى أن يجتمع عدد من الطلاب الجامعيين ذات يوم في القهوة و يقرأ أحدهم خبر قضية رشوة موظف كبير فيأخذ الصحاب في النقاش و التعليق ثم يصيح أحدهم غاضباً: «هذا بلدٌ، السرقة فيه حلال» (محفوظ، ص ٣٠٤). عندئذٍ يتنبه فلفل و يتبين له الأمر و يدرك أن هناك من يحترفون السرقة في مستويات عالية مما عليه أبواه. فالصراع هنا ذهني ينشا من اصطدام فكرين مختلفين عند شخصية القصة الأصلية، و يظهر في سؤال هو: . أيجترف السرقة أبواي فحسب، أم يوجد آخرون غيرهما يحترفونها في البلد؟

إن الصراع في القصة يسبب العقدة (Complication) أو العقد و هي: «جزء من القصة تتداخل فيه الأمور بعضها في بعض ينتهي الى اتساع الصراع بين القوى الحاضرة» (واژه‌نامه، ص ٢٣٠). عندما يرجع طه سنقر إلى الحجرة التي يبيت بها أبواه و أخواته، يجد أمه حزينة و أخواته باكيات فلما يسأل الأم عن السبب تقول له: «أخذ الشرطي أباك» (محفوظ، ص ٣٠٤). هذه الجملة هي العقدة، لأنها تشير إلى حالة متوترة تظهر بغتة تودي إلى تقلب الأمور. بما أنّ فلفلاً قد تعود أن يعود إلى بيته بعدما تنتهي الليلة، لكنه يباغت في عودته هذه، إذ يواجه حادثاً يجعله في مشاكل.

إن العناصر التي أشيرت إليها تلعب دوراً يودي إلى الذروة (Climax) و «هي أوج القصة والنتيجة المنطقية للأحداث الماضية و هكذا اللحظة التي تنتهي إلى انحلال العقدة. فالذروة تشبه فُوْهة ينبوع تظهر بها المياه الجارية تحت الأرض و يتبين للقارئ ما كان مختفياً منه طوال القصة» (ادبيات داستاني، ص ٢٣٣) و اخيراً الذروة هي الموضع الذي يجد فيه القارئ جواباً لما سميناه الصراع. حينما يبلغ فلفلاً خبر حبس أبيه باتهام السرقة و يجد أمه يعلوها الوجوم و الانكسار، يتأثر بالجو الحزين و يداخله الحزن فيبكي ثم يذكر ما سمعه من الطلاب، عندئذٍ يقول لأمه: «إن البلد كله لصوص و إن السرقة فيه حلال» (محفوظ، ص ٣٠٤). هذه العبارة تدل على أن فلفلاً اطمئن بوجود لصوص غير أبيه و وجد جواباً لسؤاله و ارتفعت مشكلة الصراع بين فكرية المختلفين. فبهذه الجملة تصل الأقصوصة ذروتها و تجد جواباً للصراع الموجود فيها.

إن الحلقة الأخيرة من الحكمة هي انحلال العقدة (Resolution) يعني النتيجة النهائية للأحداث واستبانة الأسرار و الألغاز، تتحدد فيها مصائر الشخصيات و اطلاعهم على مواضعهم، فيها إما منافعهم و إما مضارهم (ادبيات داستاني، ص ٢٣٣).

بعد العبارة التي جاءت لتدل على الذروة، لم يبق من الأفضوصة إلا خمسة أسطر تشير إلى انحلال العقدة، حيث استمرت الحياة لفلفل وأسرته كما كانوا قد تعودوا بها، ففي صباح اليوم الثاني استيقظ طه سنقر ينطلق إلى القهوة و قد نسي أمس كلّه.

٢- الشخصيات (Characters)

الأشخاص في الأفضوصة أو الرواية هم العماد الأول، إذ حولهم تدور الأحداث و إليهم يتجه الحوار و منهم ينطلق (الهاشم، ص٢٩٠). إن طبيعة الأفضوصة هي التركيز، فهي تدور حول حادثة أو شخصية أو عاطفة مفردة أو مجموعة من العواطف يثيرها موقف مفرد و لهذا لاتزدحم بالأحداث والشخصيات (هدارة، ص١٤٩).

أصبحت القصة الحديثة تتطلب من القارئ جهداً كبيراً للكشف عن هدف المؤلف وراء الأحداث و الشخصيات و قد اتبع نجيب محفوظ في قصصه هذا المنهج الفني فصوّر شخصياته بما يكشف عن صراعهم النفسي و نظراتهم إلى القيم الاجتماعية و تفاعلهم مع أحداث المجتمع و مشاركتهم في توجيه هذه الأحداث و لكن في حيدة تامة و لامناس للقارئ من أن يبذل جهداً كبيراً في الوقوف على ما تدخر به قصص نجيب من تيارات فكرية و جوانب صراع نفسي (غيمي، صص ٥٥١ و ٥٥٢).

إن الشخصيات تنقسم إلى الأصلية و الفرعية فكما يبدو من الأفضوصة شخصية فلفل الوحيدة، أصليه و غيرها من الشخصيات كالطلاب و زبائن القهوة و عائلة فلفل، فرعية. أما طريقة تقديم الشخصيات في القصة فمختلفة؛ إما من خلال الشرح و التفسير المباشر و هي طريقة قديمة، إما بأعمالهم و سلوكهم مع قليل من الشرح و التحليل و هي طريقة مفضلة في كثير من الروايات والقصص الحديثة و إما تقديم الشخصيات من خلال تصرفاتهم و تداعي الأفكار دون تعليق و هو سرد القصة على طريقة تيار الوعي (Stream of Consciousness). يستخدم نجيب في هذه الأفضوصة الطريقة الأولى، يصور لنا الشخصيات من خلال الشرح و التفسير المباشر و يحرص على أن يرسم شخصية طه سنقر ملائمة لواقعها فيتابع أعماله و يصف جوانبه حيث يتسع المجال:

«... على أن الاصطلاحات لاتخلق اعتباراً فللغلام من اسمه الجديد نصيب فما إن يدع حتى يندفع نحو داعيه كالنحلة ... و هو في سبيل طموحه لا يكف عن تمرين حنجرته بالهتاف و النداء على الطلبات لأن أهمية الحنجرة في القهوة البلدي تضاهي أهميتها في نادي الموسيقى» (محفوظ، ص٣٠٢).

للكتاب في طريقة عرض شخصياته أن يصورهم من خلال حركاتهم و مواقفهم في حديثهم بعضهم مع بعض في الحوار أو في حديث كل منهم لنفسه و للخاص أن يتوسع في الأحاديث النفسية لشخصياته

ليصور بها وعيهم الباطني. لقد استغل نجيب محفوظ الفرص السائحة لعرض شخصياته مستعيناً بالحوار كلما اتسع له المجال منها مايلي:

«قال بعضهم: أضرب لكم مثلاً بفلان... أتدرون كيف جمع ثروته الطائلة؟!» ثم قال آخر: «و فلان هل تدرون كيف جمع ثروته الطائلة؟» (محمفوظ، ص٣٠٣). هكذا نجد فيها حديث النفس (Interior monologue) و ذلك عندما يتحدث لفلن نفسه و يزكي الطلاب في كلامهم قائلاً: «فما أجمل أن يقال إن هذا بلد لصوص! ما أجمل أن يقال إن السرقة في هذا البلد حلال» (المصدر السابق، ص٣٠٤). لأسماء الشخصيات في القصة دورٌ أساس عند دراستها إذ كل اسم يدل على طبقة اجتماعية خاصة و هو ما احتفل به الكاتب، حيث لشخصية حكايتنا الأصلية اسم يشير إلى طبقته الدنيا في المجتمع المصري و هذا الأمر يتضح في طيات القصة:

«فهو [طه] لص بحكم نشأته تربى بين أحضان السرقة فعرّفها في المهدي، فأتمه . وهي بائعة دوم . تنفق أوقات الفراغ في اصطيداد الدجاج الضال، أما أبوه عم سنقر بائع الفول السوداني فمولع باختلاس القمصان و السراويل من أسطح البيوت» (نفس المصدر، ص٣٠٤).

شخصية طه القصصية، من الشخصيات المسطحة (Static character) «إذ تبنى عادة حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث و لاتأخذ منها شيئاً. للشخصيات المسطحة فائدة كبيرة في نظر القارئ و الكاتب، فمما يسهل عمل الكاتب دون شك إنه يستطيع بلمسة واحدة أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تحم فكرته طوال القصة و هي لا تحتاج إلى تقديم و تفسير. أما القارئ فإنه يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه و معارفه الذين يقابلهم كل يوم، كما إنه من السهل عليه أن يتذكرها و يفهم طبيعة عملها في القصة» (نجم، ص١٠٣). هكذا طه شخصية ذات المستوى الواحد (Flat) و «هي شخصية بسيطة في صراعها، غير المعقدة، تمثل صفة أو عاطفة واحدة و تظلّ سائدة بما من مبدأ القصة حتى نهايتها، إذا من السهل معرفة نواحيها إزاء الأحداث أو الشخصيات الأخرى» (غنيمي هلال، ص٥٦٥).

٣- أسلوب العرض (Point of View)

كل قصة تناسب أسلوب عرض خاص يوظفه القاص عند كتابتها. لقد استعان كاتب فلن بصيغة الضمير الثالث (Third Person) و الراوي فيها هو عارف الكل (Omniscient). فإن هذا الراوي يتغلغل في خفايا شخصيات القصة و يكشف عما هو ليس بواضح ولكن مما يؤخذ على عارف الكل أنه لا يصدّق ما يقوله دائماً فيصبح غير موثوق به (Unreliable) أحياناً.

٤- البيئة (Environment)

بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية و المكانية أي ما يتصل بوسطها الطبيعي و بأخلاق الشخصيات وشمائلهم و أساليبهم في الحياة و الكاتب يستعين في رسم بيئة قصته بالوسائل نفسها التي يستعين بها في سرد الحوادث أو رسم الشخصيات و هو يلتقطها كما يلتقط هذه بالملاحظة و المشاهدة أو من قراءته الخاصة أو ينسجها بخياله معتمداً على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة. يتجه بعض الكتاب إلى البيئة المحلية و قد يختص بعضهم ببيئات معينة و قد يتجهون إلى تصوير طبقة معينة من الناس كطبقة البرجوازية الصغيرة التي كانت موضع عناية نجيب محفوظ في قصصه الاجتماعية (نجم، صص ١١٠-١٠٨).

إن للمكان في القصة الحديثة دوراً لا بأس به إذ يكشف عن سرائر شخصياتها لأنهم عندما يتصفون في أجواء متسعة يدل على انبساطهم و حينما يقعون في أجواء مغلقة فهذا دليل على الانطواء الذاتي عند الشخصيات (ادبيات و فلسفة، ص ٤٤).

البيئة هي عنصر هام في تصوير القصة و تحرك الشخصيات فيها إذ تشتمل على الموقع الجغرافي و أجواء الحاكم السياسية الاجتماعية و الفكرية و غيرها كما تعني مجموعة القوى و العوامل الثابتة و الطارئة التي تحيط بالفرد و تؤثر في تصرفاته و قد تكون أرستقراطية أو وسطى أو دنيا، تلعب دورها في تطور الأحداث و حياة الأشخاص و من خلال وصف البيئة يقترب القارئ من عالم القصة. أما البيئة في المدينة المصرية بأحيائها الشعبية في قصص نجيب محفوظ و رواياته فتستغرق حيزاً لا بأس به كما يلاحظ تصويره لجانب من هذه الأحياء الشعبية و حاراتها في الحكاية التي نحن بصدددها.

يصور الكاتب منبت طه سنقر و ذلك منطقة دنيا من المدينة أو على الأقل بيت فقير أو قل حجرة متواضعة ضمت فيها أسرة بكاملها و يلمح إلى الحالة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية الحاكمه على المجتمع و كأن لهذه الأمور و طفه خاصة في نفس القاص، يصور نجيب بيئة تعاني من سيادة الفقر الثقافي و الاقتصادي و تكابد انتهاك القوانين و يعاني منها الشعب المثقف و غيرهم من الناس.

من البيئات المشاركة في الأصوصة هي قهوة السعادة، هناك مختلف مدخني النارجيلية و الجوزة و رواد النرد و الشاي و الزنجبيل «فيأوون إلى ركن منها يسمرون و يلعبون النرد و يحتسون الشاي و الزنجبيل» (محمود، ص ٣ و ٣٠٢). نجد على القهوة سيطرة الضوضاء و العادات الاجتماعية و تقاليدها إذ تشير إليها الصور المستنبطة من النص نحو تدخين النارجيلية و الجوزة، ارتداء الطلاب الجلابيب و انتعالمهم بعض القباقيب و احتساء الشاي و الزنجبيل. قلما يحضر هذه البيئة المثقفون و كبراء القوم و من عندهم مكانة ممتازة في المجتمع، فالذين يجتمعون في القهوة ممن ينخفض مستواهم اجتماعياً و ثقافياً أو من المدمنين و

من يشبههم. هذا يشير إلى الطبقة الدنيا لـغلامٍ هو رمز لجمهور الشعب الفقير الذين يعيشون في ظروف مجتمعهم السيئة التي لاتلائم استمرار الحياة.

يبدو أن إطار الزمان القصصي هو «من طلوع الصباح حتى انتصاف الليل» (المصدر السابق، ص ٣٠٢) و في الإطار التاريخي يستغرق الأربعينات من القرن العشرين و على وشك الحرب العالمية الثانية عندما كان الشعب المصري يتابع فيها حربتها و استقلالها.

٥. المضمون (Contene)

إنه الجوهر الكامن في القصة و الخيط المشدود بين مواضعها. يختلف المضمون عن الموضوع (Subject) في؛ أن الموضوع يعني الفكر الكلي الذي يعتبر جذراً للقصة، أما المضمون فهو مما يشتمل عليه الموضوع (داد، ص ٢١٩). هكذا المضمون يحتوي على عبارة فيها أجزاء الجملة، نحو: إن الحرب تشتت العلاقات الإنسانية. لكن الموضوع حسبه كلمة أو مفردات لاتنطوي على جملة ما نحو: الحرب.

إن الموضوع الذي تشمله أقصوصة فلعل يلخص في كلمات أهمها: براءة الحكام و تخطئة الرعية. أما قسارى الكلام لمضمونها فهي: الحكم أساس العدل أو الحكم لمن غلب. إتنا رأينا. فيما سبق. عندما ارتكب عم سنقر جريمة صغيرة و سرق لباساً تافهاً تحتاج إليه أسرته احتياجاً، اتهمه الحكوميون بالسرقة و قبضوا عليه ثم ساقوه الى السجن لمدة يعلمها الله، أما عند ارتشاء موظف حكومي كبير، فاكنتف جريدة من جرائد البلد بانتشار هذا الخبر لأسباب لايعلمها إلا الله، و نحن نعلم أن «هذا واحداً أمكن يد العدالة أن تصل إليه مصادفة و يوجد غيره كثيرون لايناي بهم عن غيابات السجون إلا أن العدالة لاتزال زالة عنهم و ليس الداء قاصراً على الموظفين، فغيرهم. و انتم تعلمون من أعني. أفضع و أضلّ سبيلاً. هذا بلدٌ لو أقيم به ميزان العدالة كما ينبغي لامتلأت السجون و حلت القصور!» (محفوظ، ص ٣٠٣).

النتيجة

إنّ للقارى أن يتناول هذا النص من ناحيتين هما: الشكل و المضمون. بما أن أقصوصة فلعل من بواكير نجيب القصصية و أنها لاتخلو من بعض العيوب، لكنها تحتوي على عناصر القصة بكاملها، إذ قلما لم يحتفل به الكاتب مما يجيد أثره و هذا يدل على أن نجيباً قد اعترف بالشكل القصصي و اتبع أسلوب القصة المعتاد عند كتابها. كذلك عندما تتغلغل في طيات الأقصوصة نجدتها تنطوي على مضمونين لا بأس بهما: أولاً، يبدو أن الكاتب قد اهتم بظاهرة فقر أدت إلى السرقة عند طبقة تشكل جمهور الشعب المصريين و هي الطبقة الدنيا. ثانياً، لقد تابع محفوظ هدفاً ينتج عما سبق و هو أن السرقة لاتحدد عند

هذه الطبقة بل تشمل الآخرين خاصة الحكوميين إلا أنهم في حصانة من التهمة و القبض و السوق نحو السبحون، فمدار القصة معالجة إحدى المشاكل الاجتماعية التي انتابها المجتمع المصري و هي السرقة. قد يعترف القارئ مما مضى أن قصص نجيب القصيرة تجدر بالعناية و تستحق الدراسة شكلاً ومضموناً، لكنه لا ينهاه من أن يعيها. إن الإبانة و الصراحة (Explanation) هما مما يؤخذ على الكاتب، لأنهما أقل تأثيراً على القارئ، فياحبذا لو يحل محلها العرض و الإراءة (Showing) على هذا كثيراً ما استعان نجيب عند كتابة هذه الأقصوة بالإبانة و التجأ إلى الصراحة و من المستحسن أن يعرض الأمور، فيتركها للقارئ يفسرها و يستنتج بنفسه إذ هو أكثر تأثيراً على من يستمتع بقراءة القصة و من يستمتع إليها.

و أخيراً يرجو كاتب هذه الأسطر أن يتابع أصحاب المقالات المحترمون ما يندرج فيه الأدب القصصي ليجد الموضوع مكانته المرموقة في الأدب العربي في إيران.

المصادر و المراجع

- ١- ادبيات و فلسفه، شماره ٧٥ و ٧٦، سال هفتم ١٣٨٢، صاحب امتياز خانه كتاب ايران.
- ٢. ايرنا رعا مكاريك، دانش نامه نظريه هاي ادبي معاصر، ترجمه مهراں مهاجر و محمد نبوي، انتشارات آگاه، تهران ١٣٨٤، چاپ يكم.
- ٣. البلاغة و النقد، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١ م، الطبعة الثالثة.
- ٤- تيمورمحمدود، القصص في أدب العرب ماضيه و حاضره، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٨ م.
- ٥. داد سيماء، فرهنگ اصطلاحات ادبي، انتشارات مرواريد، تهران ١٣٨٣، چاپ دوم.
- ٦. زيد يان، داستان کوتاه، ترجمه فرزانه طاهري، نشر مركز، تهران ١٣٧٩، چاپ دوم.
- ٧- الساعدي حاتم، محاضرات في النشر العربي الحديث، مؤسسة العارف للطبوعات، بيروت، ١٩٩٩ م، الطبعة الأولى.
- ٨. غنيمي هلال محمد، النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٩. محفوظ نجيب، همس الجنون، دارالشروق، القاهرة، ٢٠٠٦ م، الطبعة الأولى.
- ١٠- المقدسي أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨ م، الطبعة الثامنة.
- ١١. ميرصادقي جمال، ادبيات داستاني، انتشارات شفا، تهران، ١٣٦٦، چاپ اول.

- ١٢. ميرصادقي جمال، عناصر داستان، انتشارات صفا، تهران، ١٣٦٧، چاپ دوم.
- ١٣. ميرصادقي جمال و ميرصادقي ميمنت، واژه نامه هنر داستان نويسي، نشر كتاب مهناز، ١٣٧٧، چاپ اول.
- ١٤. نجم محمد يوسف، فن القصه، دارالثقافة، بيروت، بى تا.
- ١٥. الهاشم جوزيف و الآخرون، المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠ م، الطبعة السادسة عشرة.
- ١٦- هدارة محمد مصطفى، في النقد الحديث، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠ م.

فلفل و عناصر داستان

دکتر حسین ابویسانی

دانشگاه تربیت معلم تهران

چکیده

داستان کوتاه جایگاه ویژه‌ای در ادبیات عربی دارد. این نوع ادبی توجه نویسندگان بزرگی را به خود جلب نموده و به یکی از محبوب‌ترین انواع ادبی نزد خوانندگان بدل شده است.

نجیب محفوظ از نویسندگان معاصری است که در این زمینه شهرت یافته و تعداد قابل توجهی داستان کوتاه نیز به رشته تحریر درآورده است، اما از این تعداد فقط مجموعه‌ای با نام «همس الجنون» به چاپ رسیده و در اختیار خوانندگان قرار دارد.

«فلفل» نام داستان کوتاهی است که در این مجموعه خودنمایی می‌کند. این داستان، زندگی پسر بچه‌ای را به تصویر می‌کشد که در مقابل مبلغی ناچیز حاضر شده است در یک قهوه‌خانه مشغول به کار شود. وی به خانواده فقیری تعلق دارد که والدینش در کنار فعالیت‌های روزمره خود، با دستبرد به اشیایی ناچیز و بی‌ارزش روزگار را سپری می‌کنند. همین امر باعث می‌شود تا پدر خانواده توسط نیروهای امنیتی دستگیر و روانه زندان شود، اما در این فضا صاحب‌منصبان حکومتی نیز به چشم می‌خورند که با وجود ارتکاب جرایمی بزرگ‌تر از هرگونه تعقیب و محاکمه مصون هستند. نویسنده مقاله تلاش نموده است با بررسی شکل و محتوای این داستان، عناصر تشکیل‌دهنده‌ی آن را تحلیل کند و از این طریق به نتایج مورد نظر دست یابد.

کلید واژگان: نثر عربی، نجیب محفوظ، داستان کوتاه، همس الجنون، فلفل.